عبد الرحمن بن الحكم

" حياته وشعره "

الدكتور فيصل سماق

مدرس في

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة دمشق

يتناول هذا البحث حياة رجل نجهل تاريخ ولادته ،توفي نحو سنة (٧٠ هـ) ،كانت له مواقف سياسية خلال العقود الثلاثة الاولى من زمن الدولة الاموية ،عبر عنها في اشعاره القليلة التي وصلت الينا ،والتي تناثرت في ثنايا المصادر الادبية والتاريخية ، وقد توزعت على موضوعات الشعر المألوفة في زمنه ،كالسياسة والهجاء والنسيب والرثاء. وتعدّ هذه الدراسة محاولة للتعريف بهذا الشاعر الذي يصنف بين المقلين المغمورين من الشعراء .

ان دراسة حياة شاعر مغمور من شعراء هذه المرحلة ، اغفلت مصادر رئيسية كثيرة ذكره ،ولم يحظ من مؤرخي الادب ودارسيه القدامى باهتمام ملحوظ ،ليس امرا سهلا ميسورا ،ولا سيما ان شعره لم يجمع في ديوان او كتاب بعينه .

ان ماوصل الينا من اشعاره القليلة واخباره المبعثرة هنا وهناك لايسعفنا كثيرا في الاحاطة بجوانب حياته ،ولا يعيننا في الوقوف على مقدرته الفنية. وقد لايجد الباحث تفسيرا مقنعا لقلة هذه الاشعار التي نقلت الينا ،ولذلك كنا نفضل ان نعزو هذا الامر الى احد سببين اثنين، أمّا أوّلهما ،فهو ان يكون هذا الرجل مقلا ،وأمّا ثانيهما فهو ضياع شعره واسقاط الرواة لمعظمه ،ومع هذا، فانني سأحاول دراسة البيئة الفكرية والسياسية والاجتماعية التي احاطت بهذا الشاعر، وعملت على تكوينه (اعطت شعره ابعاده التي نراها ماثلة فيما وصل الينا)، ثم أنتقل الى دراسة حياته ومواقفه السياسية ،وهجائه وغزله وخمره ورثائه .

كان الاسلام بداية عهد جديد، زلزل اكثر القيم الفكرية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية ،واتى بمفاهيم وافكار حملها المسلمون مؤمنين بها ايمانا قويا ،واستطاعوا ان يقيموا بها امبراطورية امتدت على بقاع واسعة في العالم القديم ،بعد ان حطموا امبراطوريتن عظيمتين كانتا تجاوران دولتهم من الشرق والغرب .

وهذا الانتصار السياسي الضخم ،كان سببه الاول ماجاء به الاسلام من مبادئ اجتماعية وسياسية ودينية ، استطاعتان تلم شمل العرب الممزق ،وتعلي شأنهم بين امم الارض ،ولقد عرف العرب في جاهليتهم بأنهم اصحاب قول وبيان ،ولهذا كانت معجزة رسولهم القرآن الذي تحداهم ببيانه بالرغم من قوة بيانهم ،بصورة جلية،

ان الشعر الجاهلي ،كان قد وصل وقت ظهور الاسلام الى مرحلة النضج ،فقد اخذت العقيدة الجاهلية مكانتها وتحددت سماتها وابعادها المميزة .

ولما جاء الاسلام ،كان له موقف من الشعر ،وان لم يكن سلبيا ،فهو ليس ايجابيا ،وتضاربت الروايات حول موقف الاسلام ،ولكن الثابت ان الاسلام قبل الشعر الذي لايتعارض ومبادئه وفهمه والسلوكيات التي يحضّ عليها ،وقد ادى هذا الامر بحركة الشعر الصاعدة في ذلك الوقت الى الركود قليلا ،وتباينت اتجاهات الشعراء ،فبعضهم استمر يقول الشعر كما كان يقوله في الجاهلية ،وبعضهم التزم في شعره بقيم الاسلام ومعتقداته الروحية ومثله الخلقية ،وبعضهم كاد ان يسكت عن قوله ،ومن الواضح انه كان للقرآن دور كبير في هذا كله .

وهنا اود ان اشير الى انني حين ادرس عبد الرحمن بن الحكم لا اجد المادة العلمية التي تيسر لي سبل الدراسة ذلك ان الكتب التي تحدثت عنه والتي قرأتها على الاقل ـ لاتحدد تاريخ مولده ،وتشح علينا بأخباره ؛ولكن جرجي زيدان يقول في ترجمته له في كتابه " تاريخ الادب العربي" : انه شاعر مخضرم ،على ان الاشعار التي بين يديّ ،والتي جمعتها من كتب الادب والتاريخ قد قال بعضها في عهد خلافة معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد ،وقال بعضها الاخر في عهد اخيه مروان بن الحكم .

هذا يعني انه لم يقل الشعر في الجاهلية وفي عهد رسول الله وخلفائه الاربعة ،وانما قاله بعد تولي معاوية امر المسلمين ،او ان ما قاله قبل ذلك قد ضاع . ويفضي بنا هذا الامر الى اننا لانستطيع ان نعرج على ظاهرة الخضرمة في شعره ، الامن خلال المعطيات التي نحصل عليها من النصوص التي وجدناها ممثلة لعصرها خير تمثيل ،فهي لاتختلف عن اشعار بقية الشعراء الامويين الذين عادوا الى الشعر الجاهلي بعد فترة الانقطاع التي حدثت بينهم وبينه ،مع وجود المؤثرات الاسلامية البسيطة ،كأن يذكر كلمات (الله رسول الله رب ،القرآن ....) في ابيات يهجو فيها او يفخر ، اي في موضوعات لايقبل الاسلام من الشاعر المسلم ان يطرقها؛ فالمؤثرات الاسلامية في شعره بسيطة وسطحية ،ولعلها كانت دارجة بحسب العادة وكثرة التداول حتى في كلام الناس .

والفترة الاموية التي عاش فيها الشاعر مرحلة نضجه ـ بداية حكم الامويين ـ هي فترة صراع سياسي رهيب لم تترك أي اثر من آثارها في قصائده ،فهو لابد قد عايش معركة صفين ، او سمع اخبارها ان لم يكن قد حضرها ،وبالرغم من كونه امويا ،فاننا لم نقرأ بيتا واحدا له عن هذه المعركة الفاصلة في تاريخ الامة العربية الاسلامية ،وفي تاريخ اسرته على الاقل . ولكن نعود لنقول :انه ربما قال وضاع ما قاله . ان الصراع القبلي لم يخلف اثارا في شعره سوى بيتين هجا فيهما قيس عيلان يقول (١) .

لحا الله قيساً قيسَ عيلان إنها
أضاعت ثغور المسلمين وولّتِ
فشاولْ بقيس في الطعان ولا تكن
أخاها اذا ما المشرفية سُلَّتِ (٢)

ويضيف الطبري في اولها بيتا هو قوله :

أتذهبُ كلبٌ قد حمتْها رماحُها
وتترك قتلى راهطٍ ما أجَنَّتِ

ويقول : قال هذه الابيات في رده على

---

(١) : ديوان الحماسة لابي تمام ٢٧٧/٢ .
(٢) : في ديوان حماسة ابي تمام يشرح المرزوقي : ١٤٩٩/٣ ـ ١٤٥٠ فشاول بقيس في الرخاء .

زفر بن الحارث الذى هجا البحدليين منتصرا لابن الزبير . ويبدو انه متناقض في مواقفه تجاه الحكم والوضع السياسي والصراعات التي نجمت عنه ،فهو يبكي مرة روءيته رأس الحسين ،ومرة يهاجم الزبيريين موءيدا اخاه مروان . وسأفصل هذا في حديثي عن مذهبه السياسي ومواقفه .

ويبدو ان شاعرنا كان من الناحية المعيشية في وضع مادي جيد ،فهو يخرج للصيد ،يلهو ،ويشرب الخمر ،ويتغزل بالجواري ،وله ابيات في كل هذا ،وفي المجون ايضا ،وليس هذا غريبا ،فهو ابن اسرة حاكمة،وقد تسلم اخوه مروان الخلافة ،وهو حي يرزق ،وانعكس وضعه الاجتماعي وترفه على شعره .

يذكر ابو الفرج الاصفهاني ان اسمه : عبد الرحمن بن الحكم بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ،وان امه هي ام اخيه مروان آمنة بنت صفوان بن امية ،وانه كان يكنى ابا مطرف ،وهو شاعر اسلامي متوسط الحال في شعراء زمانه ،وكان يهاجي عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت ،فيقاومه ،وينتصف كل واحد منها من صاحبه (١) ،ثم يورد بعض الاخبار المتفرقة المتصلة بسيرته وصلاته بالخليفة الاموي معاوية بن ابي سفيان وبأخيه مروان ،وببعض الشعراء ،نريد منهم عبد الرحمن بن حسان بن ثابت (٢)

ويورد الزركلي ترجمة له مختصرة في كتابه (الاعلام) (٣) تحت عنوان (ابن ابي العاص) فيقول: " عبد الرحمن ابن العاص الاموى: شاعر محسن ،شهد يوم الدار ،وهو اخو مروان (الخليفة) ،وكان حاضرا عند يزيد بن معاوية لما جيء اليه برأس الحسين ،ورآه عبد الرحمن ، فبكى ،وقال من ابيات :

سميّة أمسى نسلها عدد الحصى
وبنتُ رسول الله ليس لها نسل

فشتمه يزيد ،واسكته .

ويبدو ان الزركلي قد اعتمد في ترجمته هذه لشاعرنا على ما وجده في كتاب فوات الوفيات للكتبي ،كما يبدو من حاشيته على هذه الترجمة ،ذلك لاننا نجد هذا الكلام نفسه في هذا المصدر (١) .

وتشير بعض المصادر الاخرى الى اسم هذا الشاعر ،وتورد نتفا من اخباره على استحياء ،فهي لاتسهب في سرد هذه الاخبار، ولاتكثر منها،كما تسوق ابياتا من شعره من هذه المصادر: نسب قريش للمصعب الزبيرى (٢) ،وتاريخ الطبرى (٣) ،والعقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي (٤) ،وديوان الحماسة لابي تمام بشرح المرزوقي (٥) ، ويشرح التبريزى (٦) ،وتاريخ اداب اللغة العربية لجرجي زيدان (٧) . والبيان والتبين (٨) والحيوان للجاحظ (٩) .والكامل في اللغة والادب (١٠) للمبرد .

كنت قد قدمت ان عبد الرحمن بن الحكم أموي وانه عاش الفترة التي استطاع

---

(١) : انظر فوات الوفيات للكبتي ٢/ ٢٧٧

(٢) : ص ٩٨،١١٢،١١٣،١٢٥،١٢٨،١٦١

(٣) : ٤/٥٣٥،و ٥/ ٣٣٦،٥٤٤

(٤) : ٢/٤٦٩، ٣،٦١/٤و ٢٨٣ – ٤٩٢،٤٩٣ ، ٥/٢٨١،٣٢١،٣٢٢ و /٣٤،١٢٥

(٥) : ٣/١٤٩٦ – ١٥٠٠

(٦) : ٢/٢٧٧

(٧) : ١/١٥٢ – ١٥٣

(٨) : ٣/٣٤٨ – ٣٤٩

(٩) : ١/١٤٦،٢٣٢،٢/٣٠٦ و ٧/٢٣٥

(١٠) : ١/٣٠٠

فيها الامويون بعد الصراعات العنيفة التي خاضوها مع شيعة علي بن ابي طالب ثم مع الخوارج والزبيريين مستخدمين القوة تارة والحيلة تارة اخرى ،ونافخين في نار الصراعات القبلية ، ان يثبتوا اقدامهم في الحكم،واستطاع خليفتهم الاول انيجعل الخلافة في بيته حين اوصى بها لابنه يزيد من بعده .

ما كان لهذا الصراع السياسي الهائل ان يترك اثره في شعرعبد الرحمن،ويبدو من خلال ماروى صاحب الاغاني ان معاوية ابن ابي سفيان كان عرض عليه خيله ، فقال عبد الرحمن عن احدها: انه سابح وعن آخر ذو علالة ،وعن ثالث اجش هزيم ، فغضب معاوية اذ فهم انه يعرض بقول النجاشي :

ونجى ابنَ حرب سابحٌ ذو علالة
أجشُّ هزيمٌ والرماحُ دوانِ
سليمُ الشظى عبلُ الشوى شَنِجُ النسا
كسيد الغضا باق على النسلان

وقال له : اخرج عني فلا تساكني في بلد. اقول يبدو من خلال هذه الرواية ان عبد الرحمن هذا لم يكن يبالي كثيرا بأمويته، وانما كان ينتصر لاهل بيته فقط ،وربما كان هذا بسبب المواقع العامة التي يحتلها بيتهم بين الامويين.فرواية ابي الفرج تذكر ان عبد الرحمن قد خرج من عند معاوية ،وذهب الى اخيه مروان فشكا له قائلا :

أتقطرُ آفاقُ السماء لنا دما
اذا قلتُ هذا الطِّرْفُ اجردُ سابحُ
فحتى متى لانرفع الطَّرْفَ ذلةً
وحتى متى تعيا عليك المنادحُ

فذهب مروان الى معاوية ،وذكربقوله رسول الله في بني العاص ،حين وفد الحكم ابن ابي العاص مع حبيبة اخت معاوية ، لما زفت للنبي ،فأخذ رسول الله يطيل النظر الى الحكم ،فسئل لماذا ؟ قال :

(ابن المخزومية ذلك رجل ،بلغ ولده الثلاثين - وربما الاربعين ملكوا الأمربعدي) فعفا معاوية عن عبد الرحمن .

ومع ذلك فاننا نرى يزيد بن معاوية وربما معاوية نفسه في بعض الروايات ينتصر لعبد الرحمن في مهاجاته لابن حسان .

ويؤكد ماذهبت اليه مارواه ابو الفرج في الاغاني من ان عبد الرحمن قد دخل على معاوية بن ابي سفيان ،حين عزل هذا اخاه مروان ،فقال :

أتتك العيسُ تنفخ في بُراها
تَكَشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ
بأبيضَ من أميةَ مَضْرَحِيٍّ
كأن جبينه سيفٌ صنيعُ

ويروي له المرزوقي في شرح الحماسة بيتا يكشف فيه عن موقفه الصلب الى جانب آل بيته ، اذ يعرض بالزبيريين ،ويمدح انصار اخيه مروان:

وما الناسُ إلابحدليٍّ على الهدى
وإلّازبيريٍّ عصى فتزبّرا

وهو ربما ينتصر لكل القرشيين،ويشعر برابطة الدم الوثيقة بينه وبينهم .

وبيته الذي ابكى ابن عباس حين طرد ابن الزبير الامويين من الحجاز ،فذهبوا اليه يذكرون القرابة التي ذكرها عبد الرحمن في بيته .

وماكنت أخشى أن ترى الذلَّ نسوتي
وعبد مناف لم تغلبها الغوائل

خير دليل على ما قلت .

وفيما عدا انتمائه الى بيته وقرابته ،فاننا لانكاد نجد له موقفا سياسيا واضحا ،فهو يبكي قتلى قريش يوم الجمل ،وكان - كما يروى الطبرى قد هرب مع اخيه يحيى من هذه الموقعة واجارهما عصمة بن ابير :

ايا عين جودي بدمع سرب
على فتية من خيار العرب

ومنا ضرهم ،غير حَيْن النفـــوس
أيُّ أميري قريـــش غلـــبْ

فهو مع قريش كلها وضد اي صـراع سياسي يمزق شملها ، انه اذن لايعلـن انتماءه لأي حزب في ذلك الصراع السياسي الدامي . بل الاغرب من هذا انه بكـى الحسين بن علي . فقد روى ابو الفـرج ان عبد الرحمن كان عند يزيد بن معاوية حين ارسل عبيد الله بن زياد رأس الحسين اليه ،فلما وضع بين يدي يزيد في الطشت بكى ،وقال :

أبلغ أمير الموءمنين فلا تكـن
كموترِ أقواسٍ وليس لها نبل
لَهامٌ بجنب الطفِّ ادنى قرابـة

من ابن زياد الوغد ذي الحسب الرذل

سميةُ امسى نسلها عدد الحصـى
وبنت رسول الله ليس لها نسل

هنا لانملك الا ان نستغرب هذا الموقف، فالشيعة اعداء الامويين وهم يشنـون الحروب عليهم حتى يستقروا ،ويدعون حقهم في الخلافة ،ومع هذا فانه يعرض بابـن زياد منتصرا لحفيد رسول الله ويبكـي ، ويقول كلاما ما كانت الشيعة لتقول افضل منه ،ثم انني لا ادري ماسبب موقفه مـن ابن زياد وموقفه من ابيه قبله . هـل هي غيرة ام انتصار لقريش ام لآل بيته؟ على كل حال ، ان الذي مابين ايدينـا لايمنحنا حق الاجابة الدقيقة على هـذه التساوءلات .

يكاد شعر ابن الحكم كله يقتصر على الهجاء ،وقليل منه يدخل في باب الهجـاء السياسي ،اذ ان اغلبيته - كما يبدو - هجاء شخصي ،والقليل منه هجاء قبلي .

واكثر ماقاله في الهجاء كان فـي تهاجيه مع ابن حسان ،ومما يحكى فـي اسباب هذه المهاجاة : ان ابن الحكم وابن حسان كانا صديقين،وان زوجة ابن الحكم كانت تعشق ابن حسان ،وتراوده عن نفسه، وهو يأبى من اجل الصداقة ،فسمع هذا ابن الحكم ،فأرسل رسالة لزوجة ابن حسـان ، يعرض لها فيها عشقه وولهه بها،فأرت الرسالة زوجها ،فطلب منها ان تدعـوه اليها ،وارسل هو في طلب زوجة ابـن الحكم فجاءت فلما وصل ابن الحكم ادخله زوجة ابن حسان غرفة ،فاذا بابن حسان وزوجة ابن الحكم ،فاشتعلت نار الهجـاء بينهما ،وقريش تروى هذه الرواية بعكس ماوردت ،فهم يدعون ان زوجة ابن حسان كانت تدعوابن الحكم وهو يرفض من اجـل الصداقة . روى هذا الاصفهاني ،ومما رواه ايضا في سبب التهاجي : ان الشاعرين كانا في رحلة صيد ،فقال ابن الحكم لابن حسان:

ازجرْ كلابك إنهـا قَلَطِيَّـةٌ
بُقَعٌ ومثلُ كلابكـم لـم تَصْطَدِ

فرد عليه ابن حسان :

من كان يأكل من فريسة صيـده
فالنمر يغنينا عـن المُتَصَيِّـدِ
إنّا أناسٌ رَيِّقـون وأمكـم
ككلابكم في الولغ والمُتَـرَدِّدِ

وعندما رجعا الى المدينة لجّ الهجاء بينهما، فقال ابن الحكم :

ومثلُ أمِّك أمِّ العبد قـد ضُرِبَـتْ
عندي ولي بفنائي مزهرٌ جَـرِمْ
وأنت عند ذنابا تعاونهـا
على القدور تحسّى خائرَ البُـرَمْ

لما كثر التهاجي وأفشى ،امر معاويـة سعيد ابن العاص عامله على المدينـة ان يضرب كلا منها مئة سوط ،فكره سعيد هذا لصداقته بابن حسان وكونه خصه بمدحه، وكره هذا لابن عمه ،فلما تولى مـروان ابن الحكم ضرب ابن حسان ،ولم يضرب اخاه ، فكتب ابن حسان في ذلك الى النعمان ابـن بشير بالشام ،فذهب الى معاوية ،فارسـل رسوله الى مروان ان يضرب اخاه، وارسـل حلة لابن حسان،فألقاها مروان في الحش

(المرحاض) واعتذر من ابن حسان ،فلم يقبل ،فاستجار بالانصار ان يقبل بخمسين ضربة فقبل ،فلما خرج ،قال له بعضهم : كيف ذاك ؟ قال : انما يضرب العبد نصف ما يضرب به الحر،فاتضح الامر ،فأعاد مروان ضرب اخيه خمسين اخرى ،نرى ابن حسان يهجو ابن الحكم معيرا اياه ،بهذا فيرد عليه قائلا :

لقد ابقى بنو مروان خزيا
مبينا عارُه لبني سواد
أطاف به صبح في مشيد
ونادى دعوةً يابني سعاد
لقد أسمعتَ لوناديت حيا
ولكن لاحياة لمن تنادي

وانتصر ابو واسع احد بني الاسعر من بني خزيمة لابن الحكم فهجا ابن حسان ،وعيره بضرب ابن المعطل اباه حسان على رأسه ،كما عيرهم بأكل الخصي. فدعا عليه بنو النجار ،فعرض له اسد فقضقضه . فهجا ابن حسان بني الاسعر مذكرا اياهم بهذه الحادثة .

ولقد استعان ابن الحكم بالاخطل وبمسكين الدارمي على ابن حسان، فكتب مسكين لابن حسان يدعوه الى المفاخرة والمنافرة بقصيدة يفخر فيها بمآثر بني تميم ،فرد عليه ابن حسان ردا معقولا، ثم انقطع التناضل بينهما . وقال رماذ عن ابي عبيدة عن ابي حية النميري ان الفرزدق قال : كنا في ضيافة معاوية ومعنا كعب بن جعيل التغلبي ،فحدثني ان يزيد بن معاوية قال له : ان ابن حسان قد فضح عبد الرحمن بن الحكم ،وفضحنا، فأهج الانصار ،قال : فقلت له : ارادى انت في الشرك ؟ أأهجو قوما نصروا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وآله وآووه ولكني ادلك على غلام منا نصرانيلا يبالي ان يهجوهم كأن لسانه لسان ثور ،قال من هو ؟ قلت الاخطل ،فدعاه وامره بهجائهم ،فقال : على ان تمنعني،قال: نعم ،لكن ابا عبيدة يقول : ان معاوية دس الى كعب ،وامره بهجائهم ،فدله على الاخطل ،ويضيف ابو عبيدة ان معاوية قد قال للانصار : لكم لسانه ، الا ان يكون ابني يزيد قد اجاره ،ودس الى يزيد ان اجره .

وهو يهجو زياد بن ابيه لما ادعى له معاوية ،وقد نسبت الابيات لابن مفرغ خطأ ،يقول :

ألا ابلغْ معاويةَ بن حرب
مغلغلةً من الرجل الهجانِ
أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ
وترضى ان يقال ابوك زانِ
فأشهد ان رحمَك من زياد
كرحم الفيل من ولد الاتانِ
وأشهد انها ولدت زيادا
وصخرٌ من سمية غيرُ دانِ

فغضب معاوية وحلف الا يرضى الابرضاء زياد ،فخرج ابن الحكم الى زياد فلما دخل عليه قال له زياد : ايه يا عبد الرحمن انت القائل :

الا ابلغ معاوية بن حرب .....

فقال : لا ايها الامير ،ماهكذا قلتُ، ولكني قلت:

الامن مبلغ عني زيادا
مغلغلة من الرجل الهجان
من ابن القَرْم قرمِ بني قصيٍّ
ابي العاصي بن آمنة الحَصانِ
حلفت برب مكة والمُصلّى
وبالتوراة احلف والقران
لأنت زيادة في آل حرب
أحبُّ الي من وسطى بناني
سُررتُ بقربه وفرحت لما
اتاني الله منه بالبيانِ
وقلت له اخو ثقه وعمٌّ
بعون الله في هذا الزمان

كذاك أراك والأهواءُ شتى
فما أدري بغيب ما تراني

فرضي زياد ،وكتب الى معاوية بذلك،فلما دخل عليه ابن الحكم وانشده ما قال، تبسم معاوية وقال: قبح الله زيادا ما اجهله ،والله لما قلت له اخيرا حيث تقول: (لأنت زيادة في آل حرب) شر من القول الاول ،ولكنك خدعته فجازت خديعتك عليه .

وانا اشك في ان زيادا لم يفهم معنى قوله ،وربما يكون البيت مضافا او ان تكون الابيات كلها مضافة ، اذ لايعقل ان يكون زياد غبيا الى هذه الدرجة ،وربما رويت الابيات للنكتة .

ومع هذا ،فاننا نلاحظ ايضا في هجائه ومديحه معاني غير اسلامية كما نجد بعض الكلمات الدارجة التي لاتدل على الموءشرات الاسلامية الحقيقية .

وربما يهجو دون غاية شخصية في نفسه ،كهجائه لاخيه الحارث حين استعفى من غزو غزاة البحر ، اذ استعمله معاوية فوجه مكانه عبد الملك ابن مروان،فأبلى بلاء حسنا :

شنِئْتُكَ إذ رأيتك حَوْتَكِيّاً
مريبَ الخصيتين من التراب
كأنك قملة لَقِحَتْ كِشافا
لبرغوث ببعرة او صُؤَابِ
كفاك الغزو إذ أحجمت عنه
حديث السن مقتبل الشباب
فليتك حَيْضَةٌ ذهبت ضلالا
وليتك عند منقطع السحاب

ومرة هجا أخاه مروان حين اقتص منه ، اذ لطم مولى لاهل المدينة في ولاية اخيه :

كلُّ ابنِ أمٍّ زائدٌ غير ناقص
وانت ابنُ أُمٍّ ناقصٌ غيرُ زائد
وهبتُ نصيبي منك يامرَوكلَّه
لعمروٍ وعثمانَ الطويلِ وخالدِ

هذا كل ماورد في الروايات عن هجائه ،وهذه هي المعاني التي جاء بها، واعود لاسأل : اين اثر الاسلام في شعر هذا الشاعر ؟

وخلاصة مانجده في هجائه انه محتفظ بالفحش الذى لايرضى عنه الدين ،وانه لايعدو والمباهاة بالشرف والاصل والانتماء القبلي ،ومعاني اغلبها ذو طابع جاهلي اخذ ابعاده الحقيقية في ذلك العصر على ايدى الاخطل وجرير والفرزدق بصورة خاصة ، وسائر شعراء ذلك العصر .

ولا نكاد نلحظ اى تأثر اسلامي،ذلك ان الموضوع مرفوض اصلا في الاسلام وخاصة بعد ان مرت تلك الفترة الطويلة على انتصار الاسلام واستقرار المسلمين ،ولكن عصر الامويين كان قد فجر كل التناقضات التي استطاع الاسلام ايقافها عند حدها في عصر الرسول وخلفائه ،فعاد الناس الى ما كانوا عليه ،وعاد الصراع القبلي يؤجج نار الهجاء .

ان المكانة الاجتماعية والمادية التي تمتع بها شاعرنا ابن الحكم اتاحت له المجال ،وفتحت اوسع ابواب امامه ،كي يقصف ويلهو ويسكر ويخرج للصيد ،ولكن ابياته التي قالها في الغزل او الخمر لاتتعدى ستة ابيات ،ثلاثة قالها في وصف جارية اخيه مروان ،وكان مولعا بها وهي قوله :

لعمرُ أبي شنبا اني بذكرها
وان شحطت دارٌ بها لحقيقُ
واني لها ،لاينزعُ اللهُ مالها
علي وان لم تَرْعَه لصديقُ
ولما ذكرتُ الوصل قالت وأعرضت
متى انت عن هذا الحديث مفيقُ

اننا اذا استثنينا كلمة (الله) فلا نرى شيئا له علاقة بالمؤشرات الاسلامية ، بل ان الأسوأ من هذا انه يحلف بأبي شنباء ،وكأنه جاهلي يحلف بوالد الجارية .

ثم انه حتى في اللغة والصورة ينحو منحى جاهليا ،فكلماته وطريقة تعبيره عن ولعه بهذه الجارية لايختلف فيهما عن اى شاعر قبل الاسلام .

واذا انتقلنا الى ابياته التي يصف فيها الخمر :(رواها الجاحظ في البيان والتبيين) منها :

وكأس ترى بين الاناء وبينها
قذى العين قد نازعتْ أُمَّ أبانِ
ترى شاربَيْها حين يعتقبانها
يميلان احيانا ويعتدلان
فما ظَنُّ ذا الواشي بأبيضَ ماجدٍ
وبدّاءَ خودٍ حين يلتقيان

فاننا لانكاد نقع على معنى جديد، بل ان هذا الموضوع جاهلي ،والمعاني، والالفاظ تقليدية وقديمة ،وليست لها اية علاقة بالموءثرات الاسلامية .

لم اقع في باب الرثاء في شعر ابن الحكم على غير بيتين رثى فيهما قتلى يوم الجمل من قريش ،وقد مر ذكرهما وابيات ثلاثة رثى فيهما الحسين بن علي وقد مر ذكرها ،ولم اجد في تلك الابيات معنى جديدا،وان كنا نحظى في هذه الابيات ببعض الالفاظ والاستخدامات الاسلامية (امير الموءمنين ـ رسول الله) ...

ويبدو ان رثاءه هذا كان من باب التعاطف مع قريش قومه ، او انه كان من باب الهجوم على ابن زياد شخصية كانت بينه وبين ابيه زياد كما عرفنا .

هذه هي الصورة العامة لحياة شاعرنا عبد الرحمن بن الحكم ،عرضنا لها بايجاز شديد ،وتلك هي اهم موضوعات شعره وقفنا عندها في هذه المقالة المكثفة ،فنرجو ان نكون قد وفينا بشيء من حق هذا الشاعر .

Cette recherche aborde la vie d'un homme dont nous gnorons la date de naissance . il morut en l'an 70 del'hegire endant les trois drnieres des annees au regne dynasti omeyyade, lexprimait ses attitudes politique dans les quelques Poemes qui ous fureut parvenus de lui et qui etaient eparpilles dans nombre e doucuments litteraires et historiques .

Les themes de ses poemes efaient partages entre la olitique , le pauegyrique , la critique et la courtoisie ,

On peut considerer cette etude comme une tentative visant faire mieuse connaitre ce poete presque inconnu etpeu prolises .

المصادر والمـــــراجـــع

١) الاغاني: ابو الفرج الاصفهاني ـ طبع دار الكتب المصرية .

٢) البيان والتبين : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام محمد هارون طبع دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الرابعة .

٣) تاريخ اداب اللغة العربية : جرجي زيدان . طبع دار الهلال .

٤) تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ طبع دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية ،

٥) الحيوان : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ طبع المجمع العلمي العربي الاسلامي بيروت، لبنان الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ١٩٦٩ م .

٦) ديوان الحماسة لابي تمام ،بشرح التبريزي عناية محمد عبد القادر سعيد الرافعي طبع مطبعة السعادة ، مصر ـ ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م .

٧) ديوان الحماسة لابي تمام الطائي، بشرح المرزوقي ،تحقيق احمد امين وعبدالسلام هارون . طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

٨) العقد الفريد: ابو عمر احمد بن عبدربه الاندلسي ـ تحقيق احمد امين، احمدالزين ابراهيم الابياري ،منشورات دارالكتاب العربي بيروت ،لبنان ـ ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٩) فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي ـ مصر ١٢٩٩ هـ .

١٠) الكامل في اللغة والادب: ابو العباس محمد بن يزيدالمبرد . طبع مكتبة المعارف ـ بيروت ،لبنان ،

١١) لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري المعروف بابن منظور طبعة بولاق .

١٢) نسب قريش : ابو عبد الله المصعب بن المصعب الزبيري تحقيق ا . ليفي بروفنسال . طبع دار المعارف بمصر الطبعة الثانية .